﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩﴾ [هود: 118- 119]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبلَهُما:

تعاصي الأمم ليس خروجًا عن قبضةِ القدرة الإلهيّة وإنّما حكمةُ الله اقتضتِ الاختلاف

لَمّا كان النَّعيُ على الأمم الّذين لم يقع فيهم مَنْ ينهونَ عن الفساد فاتّبعوا الإجرام، وكان الإخبارُ عن إهلاكهم بأنّه ليس ظلمًا من الله، وأنّهم لو كانوا مُصلحين لَما أُهلكوا، لَمّا كان ذلك كلُّه قدْ يُثيرُ توهُّمَ أنَّ تعاصيَ الأمم عمّا أراد الله منهم خروجٌ عن قبضةِ القدرةِ الإلهيّة؛ أعقبَ ذلك بما يَرفع هذا التّوهّم بأنَّ الله قادرٌ أنْ يجعلهم أمّةً واحدةً متّفقةً على الحقّ مستمرّةً عليه، لكنّه لم يشأ ذلك، بل اقتضتْ حكمةُ الله أنْ تكون عقولهم قابلةً للتّطوّح بهم في مسلكِ الضّلالة، أو في مسلكِ الهداية[1].

ومناسبةُ قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ لِما قبلها أنّه لَمّا أشعرَ الاختلافُ بأنّه اختلافٌ في الدّين، وأنّ معناهُ العدول عن الحقّ إلى الباطل؛ لأنّ الحقّ لا يقبلُ التّعدّدَ والاختلاف عقّبَ عمومَ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ باستثناءِ مَن ثبتوا على الدّينِ الحقّ ولم يُخالفوه فقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؛ أيْ: إلّا مَن رحمهم الله فهداهم إلى الإيمان به، واتّباع رسله؛ فإنّهم لا يختلفون فيما جاءهم من عند ربهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُمَّةٗ﴾: الهمزةُ والميمُ أصلٌ واحدٌ يتفرّعُ منه أربعة أبواب،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/187.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.

وهي: الأصلُ، والمرجعُ، والجماعةُ، والدّينُ، وهذه الأربعة متقاربة[1]، وكلُّ شيء يُضَمُّ إليه سائرُ ما يليه فإنّ العرب تُسمّي ذلك الشَّيء أُمًّا، فمن ذلك: أُمّ الرّأس وهو: الدّماغ[2]. والأُمّ لكلّ شيء هو المَجمَعُ والمَضَمُّ، ومنه الأُمّ: الوالدة؛ لأنّ أولادها يرتبطون بها، وهي أصلهم ومَجْمَعُهم، والأمّة بالضّمّ: الرّجل الجامع للخير، والأُمُّ بالفتح: القَصْد، أمَّ الشّيءَ يؤمَّه أمًّا: قَصَده وتوجّه إليه[3]، وكلّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما إمّا دِينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ - سواء كان ذلك الأمرُ الجامعُ تسخيرًا أو اختيارًا - فهي أمّة، وجمعها: أُمم[4].

والمُراد هنا: جماعةٌ واحدةٌ على ملّةٍ واحدةٍ، ودينٍ واحدٍ؛ أيّ: أمّةٌ واحدةٌ مؤمنةٌ[5].

2) ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾: الخاءُ واللّامُ والفاءُ أصولٌ ثلاثة: أحدها أنْ يجيءَ شيءٌ بعدَ شيءٍ يقومُ مقامه، ومنه قولهم: اخْتَلَفَ النّاسُ في كذا، والنّاسُ خِلْفَةٌ؛ أيّ: مختلفون؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهم يُنَحِّي قولَ صاحبه، ويُقِيمُ نفسه مقامَ الّذي نَحّاهُ[6]، واختلفَ الشّيئان: لم يتّفقا ولم يتساويا، والاختلافُ: عدمُ الاجتماع على رأيٍ أو موقفٍ أو حكمٍ إلخ، كأنَّ كُلًّا يذهب إلى ما جعله الآخر خَلْفه[7]، والاختلافُ والمخالفة: أنْ يأخذَ كلّ واحدٍ طريقًا غيرَ طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلاف أعمُّ من الضّدّ؛ لأنَّ كلَّ ضدَّيْن مختلفان، وليس كلُّ مختلفيْن ضدّين، ولَمّا كان الاختلاف بين النّاس في القول قد يقتضي التّنازع؛ استُعير ذلك للمنازعة والمجادلة[8].

والمُراد بـ ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في الآية: الاختلافُ في الأديان والآراء والملل[9].

3) ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: الكافُ واللّامُ والميمُ أصلان: أحدهما يدلُّ على نطقٍ مُفهم، والآخر على جِراح، فالأوّل: الكلامُ، تقول: كَلَّمْتُهُ أُكَلِّمُهُ تَكْلِيمًا، ثم يَتَّسِعون فيُسمّون اللَّفظةَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أمّ).
(2) الخليل، العين: (أمم).
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أمم).
(4) الرّاغب، المفردات، ص: 86.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/531، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/215.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خلف).
(7) مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلف).
(8) الرّاغب، المفردات، ص: 295.
(9) ابن جرير، جامع البيان: 15/531، وابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/215، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/411.

الواحدة المُفهمة كَلِمَة، والقصّةَ كلمةٌ، والقصيدةَ بطولها كلمة[1]. والكلمةُ الباقية: كلمةُ التّوحيد، والقرآنُ: كَلامُ الله، وكَلِمُ الله وكَلِماتُه وكَلِمَتُه، وكلامُ الله لا يُحدّ ولا يُعدّ[2].

ومعنى ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾: قضاؤُه وأمرُه[3]، أو وعيده، أو قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾[4]، أو الكلمةُ هنا بمعنى الكلام، فكلمةُ الله: تقديرُه وإرادتُه، أُطلقَ عليها كلمةً مجازًا؛ لأنّها سببٌ في صدور كلمة (كُنْ)؛ وهي أمرُ التّكوين[5].

4) ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾: (جَنّ)، الجيمُ والنُّونُ أصلٌ واحدٌ، وهو السَّتر والتّستّر، ومنه الجِنُّ؛ لأنّهم متستِّرون عن أعيُن الخَلْق[6]، والجنُّ: جماعة ولَدِ الجانِّ، وجمعهم: الجِنَّةُ والجِنّانُ، سُمُّوا به لاستجنانهم من النّاس فلا يُرَونَ[7]، والجِنُّ ضدُّ الإنسِ، الواحد جنيٌّ، وقيل: سُمّيت بذلك؛ لأنّها تُتَّقى ولا تُرَى، لذلك سُمّي ما يقابلهم بالإنس؛ لأنّهم يؤنَسون؛ أيْ: يُبصَرون[8].

ومعنى ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ في الآية موافقٌ للمعنى اللُّغوي، فهي بحسب ما يُستخلص من ظواهر القرآن والسُّنّة النّبويّة خَلْقٌ غيرُ مرئيّ لنا، ليست أجسامًا، بل هي موجوداتٌ روحانيّةٌ مخلوقةٌ من عنصرٍ ناريٍّ، ولها حياةٌ وإرادةٌ، يتناسلون، ويتكاثرون، ويموتون. وهم مأمورون بما أُمر به بنو آدم في القرآن، والسُّنّة. وهم أحياءٌ عقلاء موجودون لا يُرَوْن، ولهم إدراكٌ خاصٌّ بهم لا يُدرى مداه، وهم مأمورون، ومنهيّون، ولهم آجالٌ كآجال بني آدم[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبر الله تعالى بأنَّه لو شاء ربُّك – أيها الرّسول – لجعل النّاسَ كلَّهم على ملّةٍ واحدةٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كلم).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والفِيروزابادي، القاموس المحيط: (كلم).
(3) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/216.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/248.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/190.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جن).
(7) الخليل، العين: (جن).
(8) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة، والرّازيّ، مختار الصّحاح: (جنن).
(9) السَّفّارينيّ، لوامع الأنوار: 2/220، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 29/218، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 9/111.

متّفقين على الإيمان، فلا يُهلكهم، لكنّه لم يشأ سبحانه، فهم لا يزالون مختلفين في أديانهم عادلين عن الحقّ إلى الباطل؛ لأنَّ الحقّ لا يقبلُ التّعدّدَ والاختلاف، باستثناء مَن ثبتوا على الدّين الحقّ، ولم يخالفوه فعصمهم الله من الاختلاف، ولثمرةِ الاختلاف خلَقَهم، وطَبَعهم على خلائقَ من الخيرِ والشّرّ تقتضي الاختلافَ لتفاوتهم فيها، فبادروا إلى ما خلقهم له مُعرِضين عن أوامره، ولم تُغنِ عنهم عقولهم، وبهذا يتحقَّق وعدُ ربك في قضائه وقدَرِه، وهو: لأملأنَّ جهنَّم من عصاةِ الجنِّ والنّاسِ أجمعين، الّذين اتّبعوا إبليس وجُنده ولم يهتدوا للإيمان.

حجّةٌ عليهم واضحةٌ إذ مكّنهم من الاختيارِ فلم تُغنِ عنهم عقولُهم فاستحقّوا العذاب

وتُرشدُ الآيتان الكريمتانِ إلى أنَّ الله اقتضت حكمتُه أنّه خلقَ الخلقَ؛ ليكونَ منهم السّعداءُ والأشقياء، والمُتّفقون والمختلفون، والفريقُ الّذين هدى الله، والفريقُ الّذين حَقَّت عليهم الضّلالة؛ ليتبيّنَ للعباد عدْله وحكمته، وليُظهرَ ما كَمَن في الطّباع البشريّة من الخير والشّرّ، ولتقومَ سوقُ الجهاد والعباداتِ الّتي لا تتمُّ ولا تستقيم إلّا بالامتحان والابتلاء. وإلى أنَّ أهلَ الرّحمةِ لا يختلفون، وأهلُ الرّحمة هم أتباعُ الأنبياء قولًا وفعلًا، وهم أهلُ القرآن والحديث من هذه الأمَّة؛ فمَنْ خالفَهم في شيء فاتَه من الرّحمة بقدر ذلك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف في الآية:

في العطفِ بيانٌ وإتمامٌ لمعنى مشيئةِ الله في استخلافِ الخَلْقِ

جاءَ العطفُ في الآية بيانًا للكلام السّابق الّذي قد يُوهِم أنّ إيمانَ هؤلاء الكفّار ممّا لا يدخلُ تحتَ المشيئةِ الإلهيّة، فنفى ذلك الوهمَ مبيّنًا أنّه لو شاءَ لجعلَ النّاس كلّهم أمّةً واحدةً على الإصلاح، فهو قادرٌ على أنْ يجعلهم كلّهم مُصلحين متّفقين على الإيمان فلا

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 3/562، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 235.

يُهلكهم، ولكنّه لم يشأ ذلك، بلْ شاءَ اختلافَهم[1]؛ لِما علمَ منهم اختيار ذلك[2].

معنى ﴿وَلَوْ﴾ في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾:

الاختلافُ في الدّينِ دائمٌ بين النّاسِ بمقتضى ما جُبلتْ عليه العقولُ من حريّةِ الاختيار

(لو) شرطيّة غير جازمة، وهي حرف امتناعٍ لامتناعٍ، وقد فُهم من شرط ﴿وَلَوْ﴾ أنَّ جَعْلَهم أمّةً واحدةً في الدّين منتفيةٌ لعدم مشيئةِ اللّه لذلك[3]، والمقصود: انتفاءُ دوامها على الوحدة في الدّين، وإنْ كانوا قد وُجدوا في أوّل النّشأة متّفقين، فلم يلبثوا حتّى طرأ الاختلافُ بين ابنَيْ آدم ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس: 19]، ولقوله ﷺ - فيما يرويه عن ربِّه: «وإنِّي خلقتُ عبادي حُنَفاء كُلّهمْ، وإنَّهم أتَتْهُم الشَّياطينُ فاجتالتْهم عن دينِهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللْتُ لهمْ، وأمرَتْهم أنْ يُشْرِكُوا بي ما لَمْ أُنزِّلْ به سُلطانًا»[4]؛ فعُلم أنَّ النّاس قد اختلفوا فيما مضى، فلم يكونوا أمّةً واحدةً، ثم لا يُدرى هل يؤولُ أمرُهم إلى الاتّفاق في الدّين، فأعقبَ ذلك بأنّ الاختلافَ دائمٌ بينهم؛ لأنّه من مُقتضى ما جُبلتْ عليه العقول[5].

نكتة التّعبير بالجملة الشّرطيّة في الآية:

في الشّرطِ كشْفٌ لحقيقةِ الحكمةِ من جعلِ النّاسِ مختلفين بمشيئته سبحانه

عبَّر القرآنُ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ بجملةٍ شرطيَّةٍ امتناعيَّةٍ، إذ إنَّ (لَوْ) أداةُ شرطٍ تُفيدُ التَّعليق في الماضي وتختصُّ به، وتُفيدُ امتناعَ الشّرطِ وامتناعَ الجواب[6]، والجملة الشّرطيّة أقوى من الجملة الخبريّة في إثبات الحكم؛ لأنَّها تربط نتيجةً ما بسببٍ معيّنٍ؛ أي: امتنعَ جَعْلُ النّاسِ أمّةً واحدة

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/401.
(2) النَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/90.
(3) الصّاوي، حاشية الصّاوي، ص: 866.
(4) مسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2865).
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 12/189.
(6) الموزعيّ، مصابيح المغاني في حروف المعاني، ص: 404.

لعدم مشيئة اللّه له، والمعنى: ولو شاء ربّك - أيّها الرّسول الكريم الحريصُ على إيمان قومه - أنْ يجعلَ النّاس جميعًا أمّةً واحدةً مجتمعةً على الدّين الحقّ لجَعَلَهُم، ولكنّه سبحانه لم يشأ ذلك[1]، فكلٌّ راجعٌ إلى مشيئته سبحانه، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّ اللّه لم يشأ ذلك لحكمةٍ بالغةٍ، وأنّ الاختلافَ ابتلاءٌ واختبار.

فائدة مجيء لفظ ﴿رَبُّكَ﴾:

تشريفٌ وتسليةٌ وتخفيفٌ وتثبيتٌ لمَن جعله الله في عين عنايتِه وأتمِّ رعايته

عبَّر البيان القرآنيّ بلفظ الرّبوبيّة ﴿رَبُّكَ﴾ الّذي يدلّ على المِلْك والتّربية والرّعاية والعناية، وأضافه إلى ضميره ﷺ تسليةً له، وتخفيفًا عنه؛ فقد كان ﷺ حريصًا على إيمانِ النّاس جميعًا، وتكادُ نفسه تذهبُ عليهم حسراتٍ، ويكاد يُهلكها حزنًا عليهم وأسفًا، وكذلك تثبيتًا له في ظلّ ما يواجه من عنادِ الكافرين، وتشريفًا له ورَفعًا لمنزلته بإضافته إليه، كما أنّ في هذه الإضافة توكيدًا للمعاني السّابقة، إذ إنَّ الإضافة إلى الرّبّ ﴿رَبُّكَ﴾ من الأساليب النّحويّة الّتي تُلحَق بالتّوكيد المعنويّ، والمعنى: هذه مشيئةُ ربّك المِلكِ المالكِ المُطاع سبحانه العالم بك "المحسنِ إليك بكلِّ إحسانٍ يزيدك رِفعةً"[2]، فاثبتْ في دعوتك؛ فأنتَ في حرزِ المحسن إليك، وفي عين عنايته، وأتمّ رعايته ممّا يزيدك شرفًا ورفعةً، وارْأفْ بنفسك، ولا تُهلكها حزنًا عليهم.

نكتةُ حذف المفعول في: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾:

حـذْفُ مفعولِ المشيـئـةِ بين الإيجـازِ وقصدِ الـبـيـانِ بـعـدَ الإبهام تشويقًا

حذفَ البيانُ القرآنيُّ مفعولَ فعل المشيئة؛ لأمرَيْن:

الأوّل: لقصدِ الإيجاز؛ لأنّ المُرادَ من مفعول المشيئة ما يساوي مضمون جواب الشّرط، والتّقدير: (ولو شاء ربُّك أنْ يجعلَ النّاس

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/294.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/401.

أمّةً واحدةً لجَعلَهُم كذلك)[1]، وقد ذكر أهلُ البيان أنَّ مفعول المشيئة والإرادة لا يُذكر إلّا إذا كان غريبًا أو عظيمًا نحو: قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التّكوير: 28]، ونحو: ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٧﴾ [الأنبياء: 17]، وإنّما كَثُر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال؛ لأنّه يلزمُ من وجودِ المشيئة وجودُ المُشاء، فالمشيئةُ المُستلزمةُ لمضمونِ الجوابِ لا يمكنُ أنْ تكونَ إلّا بمشيئة الجواب، ولذا قالوا: وإذا حُذف بعد (لو) فهو المذكور في جوابها أبدًا[2].

الثّاني: قصدُ البيانِ بعد الإبهام؛ فإنّه إذا سمعَ السّامعُ قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ﴾ تعلّقتْ نفسه بِما شاء، وانْبَهَمَ عليه فلا يدري ما هو؟ فلمّا ذكر الجواب استبانَ بعد ذلك. والتّقدير: (لو شاءَ ربُّك لجعلَ النّاسَ أمّةً واحدةً).

معنى اللّام في ﴿لَجَعَلَ﴾:

اللّامُ في قوله تعالى: ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ لتوكيد الجملة الشّرطيّة الامتناعيّة؛ لأنَّ اللّام الدّاخلةَ على جواب ﴿وَلَوۡ﴾ من الحروف الّتي تُؤكَّدُ بها الأفعال في الجملة الفعليّة.

عَدَمُ جعلِ النّاسِ على دينٍ واحدٍ هو حُكمٌ إلهيّ مؤكَّدٌ

والمُرادُ أنَّ اللّه سبحانه أكّدَ عدمَ مشيئته في جَعْلِ النّاس على دينٍ واحدٍ هو دينُ الحقّ.

معنى ألْ في ﴿ٱلنَّاسَ﴾:

(أل) التّعريف في قوله تعالى: ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ جنسيّةٌ استغرافيّةٌ؛ تُفيدُ العمومَ؛ أيْ تشملُ كلَّ النّاس، والمعنى: لو شاءَ ربّك لجعلَ كلّ النّاس بجميع أصنافهم وأعراقهم وأعمارهم من الذّكور والإناث، والصّغار والكبار، والبِيْض والسُّود أمّةً واحدةً متّحدةً في هدايتها وتقواها، ولكنّه لم يشأ ذلك سبحانه.

قضاءُ الله في عدم الجبرِ على الإيمانِ وابتلائهم بالاختبارِ واحدٌ في كلّ النّاسِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/188.
(2) السّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 3/193.

سرُّ اختيار ﴿أُمَّةَ﴾:

قـيـامُ الـحـقّ والـدّعـوةُ إليه والـحـكـمُ بـه لا يتحقّق إلّا بالأمّة الـكـامـلـة في نفسها المكمّلة لغيرها

في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، اختارَ القرآنُ الكريم مفردة ﴿أُمَّةَ﴾ دون غيرها من الألفاظ المُرادفة، مثل: جماعة أو طائفة؛ لِما تحملهُ مفردة ﴿أُمَّةَ﴾ من صفاتِ الكمالِ المنهجيَّة الّتي تجعلها أسوةً في مجموع الصّفات الحسنة الّتي لا توجد في مرادفاتها، فالأمّة: "الطّائفةُ من النّاس الّذين اتّحدوا في أمرٍ من عظائم أمورِ الحياة كالموطن واللّغة والنَّسب والدِّين"(1)، ولأنّ قيام الحقّ واستمراره لا يتحقّق تحقّقًا صحيحًا إلّا بالجماعة الّتي تَدينُ بعقيدةٍ واحدةٍ، وتتجمّع على آصرتها، يقول البقاعيّ: "﴿أُمَّةَ﴾؛ أيْ: جماعةٌ عَرفتْ مَن هو أهلٌ لأنْ يُؤمَّ ويُهتدى به؛ فقصدتْهُ فاقتبستْ من أنوارهِ؛ فصارتْ هي أهلًا لأنْ تُقصدَ ويؤتمَّ بها"(2).

كما أنّ استعمالَ كلمة ﴿أُمَّةَ﴾ دونَ الطّائفة أو الجماعة أنسبُ للسّياق الّذي يدلّ على الكثرة، إذ يتحدّثُ عن جميع النّاس؛ فالأمّةُ في جميع معانيها اللُّغويّة تدلُّ على الكثرةِ والاجتماع، فهي الرّجُل الجامع للخير، والإمام، وجماعةٌ أُرسل إليهم رَسُولٌ، والجيلُ من كلّ حيّ، والّذين اتّحدوا في أمرٍ من عظائم أمور الحياة، بخلافِ (الطّائفة)، إذ هي القطعةُ من الشّيء، وقد تُطلق على الرّجل والرَّجُلَين، و"الجماعة القليلة"(3)؛ أيْ لا تدلُّ على الكثرة، وكذلك بخلاف (الجماعة) الّتي تعني اجتماعَ فئةٍ من النّاس يجمعهم أمرٌ ما، وقد تكونُ قليلةً وقد تكونُ كثيرةً.

نكتة تنكير ﴿أُمَّةَ﴾:

الأمـةُ المتّحدةُ على الدّين الحقّ شأنُها عظيم

نكّر البيانُ الإلهيّ لفظَ ﴿أُمَّةَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لإفادةِ معنى التّفخيم لشأنِ الأمّة بما تحملهُ من معاني

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/188.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدّرر: 8/177.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/221.

الأصل، والمرجع، والجماعة الكبيرة المتّحدة في الجنس، أو الدّين، أو زمنِ الوجود، والّتي يرنو إليها كلُّ عاقلٍ، وخاصّةً إذا كانت أمّةً متّحدةً على الدّين الحقّ.

مفعولا ﴿لَجَعَلَ﴾ نحويًّا وبلاغيًّا:

امتناعُ حكمةِ الله البالغةِ أن يصير النّاس كلُّهم جماعةً واحدةً على دينٍ واحدٍ

الفعلُ ﴿لَجَعَلَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، فعلٌ تامٌّ من أفعال الإنشاء، ومعناه الأساس هو إيجاد الشّيء أو إحداثه، بمعنى: (صيّر)، وهو يحتاج إلى مفعولَيْن أصلهما مبتدأ وخبر، والمفعول به الأوّل هو ﴿ٱلنَّاسَ﴾، والمفعول به الثّاني هو ﴿أُمَّةً﴾[1]. أمّا معناه المجازيّ، وهو المعنى الّذي يكون مفهومًا عادةً في السِّياق؛ فهو "التّصيير" أو "التّحويل"؛ لذا فإنَّ الفعلَ ﴿لَجَعَلَ﴾ يفيد في هذا السِّياق الكريم بلاغةً فنِّيَّةً من خلال التّعبير عن المعنى المجازيّ في معنى الآية بطريقة بليغةٍ هادفةٍ، وهو أنَّ اللّه تعالى لم يشأ بحكمته البالغةِ أن يُصيِّر النّاسَ كلَّهم جماعةً واحدةً على دينٍ واحدٍ.

معنى الواو في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾:

اختلافُ النّاسِ دائمٌ لأنّه من مقتضى ما جُبلتْ عليهِ عقولُهم

الواوُ في جملة ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ عاطفةٌ، والمعطوفُ عليه جملةٌ مُقدّرةٌ وهي: (لكنّه لم يشأ)[2]، وهذه الواو أكّدتِ المعنى المشترك بين الجملتَيْن؛ وهو عدمُ مشيئةِ اللّه لجَعْلِ النّاسِ على ملّةٍ واحدةٍ، وأنّهم اختلفوا فيما مضى فلم يكونوا أمّةً واحدةً، ولكنْ هل يؤولُ أمرهم إلى الاتّفاق في الدّين؟ فأعقبَ ذلك بأنّ الاختلافَ دائمٌ بينهم؛ لأنّه من مُقتضى ما جُبلتْ عليه العقول[3]، وهذا هو التّغايرُ بين الجملتَيْن الّذي أضافه العطف.

فائدةُ الخبر: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾:

أفادَ الخبر في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ تعريفَ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 13/292، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/445.
(2) الخرّاط، المجتبى من مُشكِل إعراب القرآن: 2/489، والجملة المقدّرة معطوفة على جملة الشّرط.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.

المخاطَب - وهو رسول الله ﷺ - بالحكم الّذي تضمّنته الجملةُ الخبريّة، وهو أنَّ الاختلافَ في الدّين دائمٌ مستمرٌّ، ولن يستطيع أنْ يجمعَ النّاسَ كلّهم على دينِ الحقّ مهما بذل من جهد، وهذا فيه تخفيفٌ عن النّبيّ ﷺ، وإرشادٌ له في كيفيّة التّعامل مع النّاس على اختلافِ عقولهم واختياراتهم، لِما في هذا الخبر من التّذكير بأحوال النّاسِ مع الإيمان، وما جُبلتْ عليهِ عقولهم من حريّة الاختيارِ من لدنْ آدم إلى أنْ تقومَ السّاعة.

إخبارٌ تعريفٍ وتذكيرٍ بأحوال النّاس واختلافهم في الدّين إرشادًا للنّبيّ وتخفيفًا عنه

نكتة المضارع في ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾:

أفادَ التّعبيرُ بصيغةِ المضارع ﴿يَزَالُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ "بأنَّ الاختلافَ دائمٌ بينهم؛ لأنّه من مقتضى ما جُبلتْ عليه العقول"[1]، وأنّه كما كانَ حاصلًا في الأمم الماضيةِ لا يزالُ مستمرًّا في هذه الأمّة، فمنهم الكافرُ والمؤمنُ، والطّائعُ والعاصي، ولذلك ورد في الحديث: «افترقتِ اليهود على إحدى وسبعين فرقةً، وافترقتِ النّصارى على اثنتيْن وسبعين فرقةً، وتفترق أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً»[2].

الاختلافُ في الدّينِ دائمٌ مستمرٌّ؛ فمنهم الكافرُ والمؤمنُ والطّائعُ والعاصي

بيانُ عودِ الضّمير في ﴿يَزَالُونَ﴾:

في مرجعِ ضمير الواو في الفعل ﴿يَزَالُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قولان:

الأوّل: عائدٌ على النّاسِ في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، والمعنى: "لا يزالُ النّاسُ مختلفين"[3]؛ أيْ: بينَ حقٍّ وباطلٍ،

عدولُ أهلِ الباطلِ عن الحقّ، واختلافهم مع أهلِه باقٍ إلى يوم القيامة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.

(2) أبو داود، السّنن، الحديث رقم: (4596)، والتّرمذي، السّنن، الحديث رقم: (2640)، وأحمد، المسند، الحديث رقم: (8377)، وابن حبّان، صحيح ابن حبّان، الحديث رقم: (6247). وصحح إسناده الألبانيّ في صحيح أبي داود، الحديث رقم: (4596).

(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/531.

والمعنى: لا يزالُ أهلُ الحقّ وأهلُ الباطل مختلفين[1]؛ أيّ: فيما بينهم، فالاختلاف بين أهلِ الحقّ وأهلِ الباطلِ سيبقى إلى قيام السّاعة.

الثّاني: عائدٌ إلى أهلِ الباطل، عن مجاهد: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قال: أهلُ الباطل، و﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: أهلُ الحقّ[2]؛ أيّ: الاختلافُ المقصود هو في الدّين، وأنَّ معناه العدولُ عن الحقّ إلى الباطل؛ لأنّ الحقَّ لا يقبلُ التّعدّد والاختلاف[3].

دلالة التّعبير بـ ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾:

اختلاف المختلفين وكثرتهم وعدمُ اتّفاقهم ثابتٌ ومُلازمٌ لهم في الحياةِ الدّنيا

عبّر البيانُ القرآنيّ بمفردة ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾؛ لاتّساع دلالةِ مادّةِ الاختلافِ الّتي تدلُّ في أصلها على عدم الاتّفاق وعدم التّساوي، وعدم الاجتماع على رأيٍ أو موقفٍ أو حكمٍ إلخ، وكأنَّ كلَّ واحدٍ يأخذُ طريقًا غيرَ طريق الآخرِ في حالهِ أو قولهِ، كما أنّ الخِلاف أعمُّ من الضّدّ، لأنّ كلّ ضدّيْن مختلفان، وليس كلّ مختلفيْن ضدّيْن.

وأمّا من حيث الصّيغة: فقد عبّر القرآن بصيغة اسم الفاعل ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ المفيد للثّبوت والدّوام؛ للإيذانِ بأنّ اختلافهم ثابتٌ دائمٌ وملازمٌ لهم في الحياة الدّنيا، وأتى باسم الفاعل مجموعًا؛ للإشارة إلى كثرةِ المختلفين على مرِّ الأزمنة.

نكتة حذف متعلَّق ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾:

إذا تساوى الذِّكرُ والحذفُ في إفادةِ المعنى فالحذفُ أولى للإيجاز والتّعميم

اختلفَ العلماءُ في متعلَّق ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، على عدّة أقوال؛ منها: مختلفين في الأديان، والملل، والآراء، والأهواء[4]، وهذا تأويلُ الجمهور، أو مختلفين في السّعادة والشّقاوة، وهذا قريبٌ من المعنى الأوّل، إذْ هي ثمرةُ الاختلافِ في الأديان، أو مختلفين في المغفرةِ والرّحمة[5]، أو مختلفين في الرّزق،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/533.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 15/534.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 15/534.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/534.

فهذا فقيرٌ وهذا غنيٌّ[1]، قال ابن عطيّة: "وهذا قولٌ بعيدٌ معناه من معنى الآية"[2].

وأوْلى الأقوالِ بالصّواب القول الأوّل؛ "لأنّ الله جلّ ثناؤه أتْبعَ ذلك قولَه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي ذلك دليلٌ واضح على أنّ الّذي قبْلَه مَن ذُكر خبره عن اختلاف النّاس، إنّما هو خبرٌ عن اختلافٍ مذموم يُوجبُ لهم النّار، ولو كان خبرًا عن اختلافهم في الرّزق، لم يعقّب ذلك بالخبر عن عقابهم وعَذابهم"[3].

ونكتةُ حذفِ متعلّق الاختلافِ: الإيجاز والتّعميم، إذ إنّ السِّياقَ يدلّ عليه من خلال قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ .... ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، ولكونِ الجملةِ جاءتْ مؤكّدةً لعدم مشيئةِ الله في جعلِ النّاسِ ملّةً واحدة.

بلاغة المتشابه اللّفظيّ:

قد يظهرُ للوهلة الأولى أنّ بينَ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ مع قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: 213]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [يونس: 19] تناقضًا، إلّا أنَّ الآيات مجتمعةً تدلُّ على معنى التّنوّع في خلق النّاس في الحقيقة، فلا يوجد أيُّ تناقض، إذ وفّق العلماءُ بين هذه الآيات، وبيّنوا أنّ المُراد بـ (أمّة واحدة) في آية هود غيرُ المُراد بـ (أمّة واحدة) في آية البقرة وآية يونس؛ واتّفقوا على أنّ المُراد بها في آية هود هو الاتفاق في العقيدة والدّين؛ أيْ: أمّة واحدة على دينٍ واحد، بينما المُرادُ بـ (أمّة واحدة) في آية البقرة وآية يونس إمّا: وحدةُ الفطرةِ الّتي فطرَ الله النّاسَ عليها[4]، أو أنّ الله خلقَ النّاس أمّةً واحدةً؛ أيْ: مجتمعًا واحدًا

جَعْلُ النّاسِ أمّةً واحدةً في فطرتها وحاجتها للاجتماعِ لا يتعارضُ مع اختلافها في الدّين

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/534.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/215.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/534.
(4) دَزوزة، التّفسير الحديث: 3/555.

مرتبطًا بعضه ببعض في المعاشِ، لا يسهلُ على أفراده أنْ يعيشوا في هذه الحياة الدّنيا إلّا مجتمعين يعاونُ بعضهم بعضًا، ولا يمكن أنْ يستغنيَ بعضهم عن بعض[1]، أو أنْ يكون المعنى أنّ النّاسَ كافّةً كانوا متّفقين على الحقّ والتّوحيد من غيرِ اختلاف، وذلك من عهدِ آدم عليه السلام إلى أنْ قُتل ابنُه وحدثَ الاختلاف فيما بعد[2].

بلاغة القصر في الآية الكريمة:

عـدمُ الاختـلافِ المذموم مقصورٌ على مَـنْ نالهم الـلـه تـعـالى برحمته

أتى البيانُ القرآنيّ بأسلوب الاستثناء بعد النّفي الّذي أفادَ القصرَ في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، فقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ استثناءٌ من ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾، والمعنى: مَنْ رحمَ ربّك فإنّه لا يختلف[3]؛ أيْ: لا يعدِلُ عن الحقّ إلى الباطل، "فإنّه ناجٍ من الاختلاف بالباطل"[4].

والغرضُ البلاغيّ من هذا القصرِ هو تأكيدُ أنَّ عدمَ الاختلافِ المذموم - وهو العدول عن الحقِّ إلى الباطل - مقصورٌ على مَن رحمه الله تعالى، فهو من قصر الصّفة على الموصوف، وهو قصرٌ إضافيّ، والمقصور عليه هم أناسٌ رحمهم الله فعصمهم عن الاختلافِ فاتّفقوا على دينِ الحقّ غير مختلفين فيه، وأنّ مَنْ لم يرحمه الله فإنّه واقعٌ في الاختلافِ المذموم غير ناجٍ منه.

معنى ﴿مَن﴾ وغرضُها في ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾:

مَـن ثـبـتَ على الـدّيـن الـحـقّ ولـم يـخـالـفْـهُ عَـصَـمَـهُ الـلـه مـن الاخـتـلافِ المذموم

﴿مَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ اسمٌ موصولٌ بمعنى الّذي، يفيدُ تعيينَ المُرادِ بمَنْ استثناهم البيانُ القرآنيّ، وأنّهم أناسٌ عَصَمَهُمُ اللّه عن الاختلاف، فاتَّفَقُوا عَلى دِينِ الحَقِّ غَيْرَ مُخْتَلِفِينَ

(1) رشيد رضا، تفسير المنار: 2/224.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/132، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.
(3) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 3/83.
(4) الجصّاص، أحكام القرآن: 4/380.

فيه[1]، وأفادَ العمومُ فيمَن استثناهم اللّه؛ أيْ: كلُّ مَن ثبتَ على الدّين الحقّ استحقَّ العصمةَ الإلهيّة من الاختلافِ المذموم.

موقع جملة: ﴿رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾:

وقعتْ جملةُ ﴿رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ صلةَ موصولٍ للاسم الموصول ﴿مَن﴾ لا محلَّ لها من الإعراب، وفيها إيماءٌ إلى وجهِ استحقاقهم للرّحمةِ لعدم عدولهم عن الحقّ الّذي يُفيده الاستثناءُ وسياقُ الآية.

المرحومون استحقّوا الرّحمة لعدم عدولهم عن الحقّ

نكتةُ التّعبير بالماضي في ﴿رَّحِمَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ جاءت صلة الموصول ﴿رَّحِمَ﴾ فعلًا ماضيًا مع أنّ رحمةَ اللّه للثّابتين على الدّين الحقّ تمتدّ إلى الحاضر والمستقبل (يوم القيامة)، دالٌّ على تحقّقِ الرّحمةِ لهم، إذ الرّحمةُ بهم لا تنحصرُ في الزّمنِ الماضي فقط.

رحمةُ اللّه بالثّابتين على الدّين الحقّ متحقّقةٌ لهم

علّةُ حذفِ مفعولِ ﴿رَّحِمَ﴾:

حُذفَ مفعولُ ﴿رَّحِمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ إذ التّقديرُ: إلّا مَنْ رحمه ربّك، وذلك لأحد أمور: الإيذانُ بالعموم؛ أيْ: عموم مَنْ رحمهم ربُّك، فكلُّ مَنْ رحمَ ربُّك استثناهُ وعصَمَهُ من الاختلافِ المذموم، أو الإبهامُ؛ لقصدِ التّفخيم، فلم يُعيّن مَن هم الّذين رحمهم اللّه تفخيمًا لحالهم، أو الاختصارُ؛ لأنّ ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ دلّتْ عليه، فلم يذكر المفعولَ به استغناءً بذِكْر ﴿مَن﴾ واختصارًا.

كلُّ مَنْ رحمهُ اللّه معصومٌ من الاختلافِ المذموم لعِظم شأنِه عندَ الرّبّ سبحانه

غرضُ تقديم مفعول ﴿رَّحِمَ﴾ المقدَّر:

قدّم البيانُ الإلهيّ المفعولَ به المُقدَّر في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾، والتّقدير: (إلّا مَن رَحِمه ربُّك)؛ اهتمامًا بالمُقدّم وتكريمًا له

الرّحمةُ بالثّابتين على الحقّ محلُّ عنايةِ الرّبّ الرّحيم واهتمامه

(1) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 2/91.

وعنايةً به، وهو المستحقُّ للرّحمة، وتشويقًا للمؤخّر وهو الرّبُّ الرّحيمُ سبحانه، إذ إنّ النّفسَ عندما تسمعُ بمَن استحقّ هذه الرَّحمة تتشوّقُ لمعرفةِ إلى معرفةِ الرّاحم.

فائدتا الذِّكْرِ والإضافة في: ﴿رَبُّكَ﴾:

إحسانُ الله ورحمتُه لا ينفكّانِ عن النّبيّ ﷺ وعمّن اتّبعه

ذكَرَ البيانُ القرآنيّ لفظَ الرّبوبيّة ﴿رَبُّكَ﴾ الّذي جاء فاعلًا لفعلِ الرّحمة، وأضافهُ إلى ضمير النّبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؛ للإشارةِ إلى مدى عنايتهِ وإحسانهِ ورحمتهِ ولطفهِ بالنّبيّ ﷺ، وبالمؤمنين، والمعنى: "إلّا مَن رحمَ ربّك المُحسنُ إليكَ بالتّأليفِ بينهم في جعْلِهم من أهل طاعتك، فإنّهم لا يختلفون في أصول الحقّ"[1]، وفي هذا تثبيتٌ له وطمأنةٌ لقلبه الشّريفِ وتشريفٌ له، ورفعةٌ لمنزلتهِ بإضافته إليه، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ ربّك يا مُحمّد هو ربٌّ رحيمٌ يستحقّ العبادةَ من مَرْبُوبِه، وأنّ مَن رَحِمَهُ ربُّك هو مَنْ آمنَ بكَ، واتّبعَ سبيلك، كما أنّ في هذه الإضافةِ توكيدًا للمعاني السّابقة.

معنى الواو في ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾:

في الواو تأكيدُ استمرارِ الاختلافِ، وزيادةُ بيانٍ لثمرته من الشّقاوةِ والسّعادةِ، أو بيان لعِلّتِهِ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ عاطفةٌ؛ عطفتْ هذه الآية على قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ بجامع أنَّ الآيتيْن تتحدّثان عن الاختلافِ في الدّين، إذ جاءتِ الآية المعطوفة ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ تأكيدًا لمضمون الآية المعطوف عليها ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾، وهو أنَّ الاختلافَ في الدّين دائمٌ بين النّاس؛ لأنّه من مقتضى ما جُبلتْ عليه العقولُ إلّا مَن رحمهم الله باختيارهم التّوحيد، وبتوفيقهم للكمال، إذ إنّ الإشارةَ في الآية المعطوفة إلى الاختلافِ المأخوذِ من الآيةِ المعطوف عليها[2]، مع زيادةِ بيانِ مآلِ هذا الخَلْق؛ أيْ: خَلَقَهم ليصيرَ أمرُهم إلى ثمرةِ الاختلافِ من

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/401.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/189.

الشّقاوةِ والسّعادةِ أو بيانِ علّته؛ أيْ: وللاختلافِ خلقهم ليستعدَّ كلٌّ منهم لشأنٍ وعملٍ، ويختارَ بطبعه أمرًا وصنعةً.

معنى اللّام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾:

اللّام في قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ تحتمل عدّة وجوهٍ:

خلقهم على جبلّةٍ قاضيةٍ بالاختلافِ ليختاروا ما تكون ثمرتُه سعادتهم أو شقاءهم

الأوّل: لامُ العاقبة والصّيرورة[1] عند جمهورِ المفسّرين؛ على القولِ بأنّ اسمَ الإشارة يرجع إلى الاختلافِ، أو إلى مجموعِ الاختلاف والرّحمة؛ لأنّ حكمةَ خلقهم ليس هذا، لقوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريات: 56]، ولأنّهم لو خلقهم له؛ أيْ: للاختلاف؛ لم يعذّبهم على ارتكاب الباطل[2]، والمعنى: خلقَ النّاس وعاقبةُ خَلْقِهم الاخْتلافُ[3]، وإنْ لم يقصدْ بهم الاختلاف[4]، هذا إنْ كانتْ لام الصّيرورة بغير ذلك المحذوف المُقدّر (ثمرة)، ويمكن أنْ تكونَ اللّامُ في هذا المحذوف، والتّقدير: خلقهم ليصيرَ أمرُهم إلى ثمرةِ الاختلافِ من الشّقاوة والسّعادة[5].

وأمّا إنْ كان اسمُ الإشارةِ يرجعُ إلى الرّحمة فاللّامُ للتّعليل[6].

الثّاني: لامُ التّعليل؛ لأنّه لَمّا خلقهم على جِبلّةٍ قاضيةٍ باختلافِ الآراء والنّزعات، وكانَ مُريدًا لمقتَضى تلك الجبلّة، وعالمًا به؛ كان الاختلافُ علّةً غائيّةً لخَلْقهم[7]، والتّقديرُ: وللاختلاف خلَقَهُم ليستعدّ كلٌّ منهم لشأنٍ وعملٍ، ويختار بطبعه أمرًا وصَنعةً، فهم مَحاملُ لأمرِ الله رتّب بهم قوام الحياة الدّنيا، كما أنّ الفئةَ المرحومةَ مظاهرُ لكماله، أظهرَ الله بهم صفاته وأفعاله، وجعلهم مستودعَ حِكَمِهِ ومعارفه وأسراره[8].

(1) نظير هذه اللّام قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: 8].
(2) طنطاويّ، الوسيط: 7/294.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/239.
(4) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 3/216.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/227.
(6) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/239.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/190.
(8) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/141.

الثّالث: لامُ التّمكّين والاقتدار، أيّ أنّه ﷻ أقدَرَهم على قبولِ حكم الاختلاف ومكّنهم منه، كما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: 67] والتّمكّن والاقتدار حاصل وإنْ لم يسكنْ بعضُ النّاس في اللّيل[1].

مرجع اسم الإشارة ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾:

اختلفَ المفسّرون في عودِ اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ على ثلاثة أقوال:

خلقهم ليُظهرَ فضلهُ على مَنْ ثبّتهم، ويُظهرَ عـذلـهُ فـيـمَـنْ خَذَلَهم

الأوّل: الإشارةُ إلى الاختلافِ؛ أي: المصدر المفهوم من اسم الفاعل ﴿مُخۡتَلِفِينَ﴾، إنْ كان الضّميرُ (هم) للنّاس، فكأنّه قيل: وللاختلافِ خُلق النّاس، ويكون على حذفِ مضاف؛ أيّ: لثمرةِ الاختلافِ من الشّقاوةِ والسّعادة[2]، أو من كونِ فريقٍ في الجنّة وفريقٍ في السّعير[3]، ويُرجّحه تمامُ الآية: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾[4].

الثّاني: الإشارةُ إلى الرّحمة؛ لأنّها أقربُ مذكور، إنْ كان الضّميرُ (هم) لـ(منْ)؛ فيكونُ التّقدير: إلّا مَن رحمَ ربّك، ولرحمتهِ سبحانه خلقَ النّاس. وصحَّ تذكيرُ اسم الإشارةِ مع عودته إلى الرّحمة؛ لكون تأنيثها غيرَ حقيقيّ.

الثّالث: الإشارةُ إلى مجموعِ الاختلافِ والرّحمة، والضّميرُ (هُمْ) للصّنفيْن؛ أيّ: (للنّاس) و(من)، لأنّه لا مانعَ من الإشارةِ بالمفرد إلى اثنيْن، كما في قوله تعالى: ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: 68] أيّ: بينَ الفارض والبكر، فيكون المعنى: وللاختلافِ والرّحمة خلَقَهُم، أيّ

(1) الرّازيّ، أنموذج جليل، ص: 213.
(2) رجح هذا القول ابن جرير، جامع البيان: 15/537.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط في التّفسير: 6/227.
(4) نجم الدّين الطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة إلى المباحث الأصوليّة، ص: 346.

أنّه سبحانه خلقَ أهلَ الرّحمةِ للرّحمة، وأهلَ الاختلافِ للاختلاف، وقد رجّح هذا القولَ عددٌ من المفسّرين؛ لأنّه يَعمّ[1].

وهناك أوجهٌ أخرى ذكرها أبو حيّان، ثمّ قال: "ولولا أنَّ هذه الأقوالَ سُطّرتْ في كتبِ التّفسير لضربتُ عن ذِكْرها صفحًا"[2].

دلالة التَّعبير باسم الإشارة (ذلك):

حكمةٌ تمكينهم من الاختيار حكمةٌ عظيمةٌ ورحمتُه سبحانهُ أعظمُ

عبّر البيانُ القرآنيّ باسم الإشارة (ذلك) في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ الّذي يُستعمل للبعيد؛ للإشارة إلى عظمةِ شأنِ المُشار إليه، فأنزلَ البُعدَ المعنويّ منزلة البُعدِ الحِسّيّ، وهو إمّا ثمرةُ الاختلاف من الشّقاوة والسّعادة، الّتي هي عاقبةُ تمكينِ النّاس من الاختيارِ لحكمةٍ عظيمة، أو الرّحمةُ الّتي خصّها اللّه بمَنْ ثبتَ على الدّين الحقّ.

نكتةُ التقديم في قوله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾:

من مظاهرِ تكريم اللّه للإنسانِ أنّه أقْدَرَهُ على الاختيارِ ومكّنه منه

قدّم البيانُ الإلهيّ المعمول ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ على عامله ﴿خَلَقَهُمۡۗ﴾؛ للاهتمام بالعلّة الغائيّة في الآية، وهي كون الاختلافِ علّةً لخَلْقهم، لا لإفادة القصْرِ، والعلّةُ الغائيّةُ لا يلزمها القصر عليها، بل يكفي أنّها غايةُ الفعل، وقد تكون معها غاياتٌ كثيرة أخرى فلا ينافي ما هنا قوله: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذّاريات: 56][3].

فائدة حذف فاعل ﴿خَلَقَهُمۡۗ﴾:

الخَلقُ لا يَصلحُ ولا يكونُ إلّا لله سبحانه

لم يصرّح البيانُ الإلهيّ بفاعل ﴿خَلَقَهُمۡۗ﴾ وهو اللّه سبحانه في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ اختصارًا؛ إمّا لأنّ الخَلقَ لا يكونُ إلّا منه، أيْ أنّ هذا الفعلَ لا يصلحُ إلّا للّه سبحانه، ولا يكونُ إلّا منه، فلا ينصرفُ الذّهن فيه إلّا إليه سبحانه، ولذلك لم يُذكر الفاعل.

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/115، وطنطاويّ، الوسيط: 7/294.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/228.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/190.

أو لأنَّ الفاعلَ ﴿رَبُّكَۚ﴾ قد ذُكر في سياق الآية؛ سواء في قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾؛ أو في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ﴾.

فائدة الخبر ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾:

تعريفُ النّبيّ ﷺ بطبيعةِ خلقِ الإنسانِ إرشادٌ له في الدّعوةِ، وتسليةٌ لقلبه

أفادَ الخبرُ في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ تعريفَ المخاطَب وهو رسول الله ﷺ بالحُكم الّذي تضمّنته الجملة الخبريّة؛ وهو أنّ الله خلقَ النّاسَ على جبلّةٍ تُمكّنهم من اختيارِ ما يشاؤون من الإيمان أو الكفر، وفي هذا الإخبارِ إرشادٌ لرسولِ الله ﷺ في كيفيّة التّعامل مع النّاس، وتسليةٌ له إنْ لم يستطع أنْ يهديَ النّاس كلّهم إلى الصّراط المستقيم، وأنْ يُنقذهم من نارِ الجحيم.

بلاغة العطف قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾:

لم تُغنِ عنهم عقولُهم إذِ اختلفوا اختلافًا لا رحمةَ لهم فيه؛ فاستحقّوا النّقمةَ بعد النّعمة

عطفَ البيانُ الإلهيّ قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ على جملتيّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ و﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ بجامع أنّها تتحدّث عن موضوعٍ واحدٍ؛ وهو الاختلاف في الدّين، ولكن لمّا دلّتْ الآيتان ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ و﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ على أنَّ هذا الاختلافَ هو سببُ الكفرِ الّذي أرسل الله رسله بالقتال عليه ربّما ظنَّ ظانٌّ أنّه بغير مشيئته سبحانه، فبيّن أنّه إنّما هو بمُراده، فقال: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[1]، كما أنّ قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ﴾ يُؤذن بأنّ المُستثنَى منه قومٌ مختلفون اختلافًا لا رحمة لهم فيه، فهو اختلافٌ مضادٌّ للرّحمة، وضدُّ النّعمةِ النّقمةُ، فهو اختلافٌ أوجبَ الانتقامَ، فعطفَ عليها ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾[2].

والمعنى؛ أيْ: فبادَروا إلى ما خلَقَهُم لهُ مُعرضين عن أوامره، ولم

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/402.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/190.

تُغنِ عنهم عقولُهم، وتمّتْ حينئذٍ كلمةُ ربك وهي: وعزّتي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾؛ أيْ: الانتقام منهم[1].

بلاغة المجاز في قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾:

إسنادُ التّمام ﴿وَتَمَّتْ﴾ لكلمة الرّبّ ﴿رَبِّكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ مجازٌ في الصّدقِ والتّحقّقِ؛ وهو مجازٌ لغويّ، إذ إنَّ حقيقةَ التّمام كونُ الشّيء وافرًا أجزاؤه، والنّقصان كونه فاقدًا بعض أجزائه، فاستُعير لحصولِ الشّيء، وتحقّقه كاملًا، يُقال: تمّ ما أخبرَ به فلانٌ، ويُقال: أتمّ وعدَه؛ أيْ: حقّقه[2]، والكلمةُ هنا تحتمل معنيَيْن؛ الأوّل: الكلامَ، فكلمةُ اللّه: تقديره وإرادته، وقد أطلقَ عليها (كلمةً) مجازًا؛ لأنّها سببٌ في صدورِ كلمة ﴿كُن﴾ [البقرة: 117] وهي أمرُ التّكوين، والتّقدير: صدقتْ وتحقّقتْ إرادةُ اللّه بأنّ جهنّمَ نصيبُ المختلفين في الدّين.

صدقتْ وتحقّقتْ إرادةُ الله وقولُه لملائكتهِ بأنّ المختلفينَ في الدّين هم نصيبُ جهنّم

الثّاني: أنّه كلامٌ خاطبَ به الملائكةَ قبل خلقِ النّاس، وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، والتّقدير: صدقَ وتحقّق كلامُ اللّه لملائكته ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[3].

وبالتّالي: فالمُرادُ بتمام كلمةِ الرّبّ هو المعنى المجازيّ؛ وهو الصّدقُ والتّحقّق سواء لإرادة اللّه في أنْ تكون جهنّمُ نصيبَ الكافرين، أو لكلام اللّه لملائكته، وغرضُ هذا المجاز المبالغةُ في صدقِ قضائه وتحقّقه، وثباتِ حُكمه وإرادته الّتي لا تتخلّف.

نكتةُ الإضافة في قوله: ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾:

أتى البيانُ القرآنيّ بمفردة ﴿كَلِمَةُ﴾ الّتي معناها: قضاؤُه النّافذ، وإرادُته الّتي لا تتخلّف، وحكمُه الأزليّ[4]، أو قوله للملائكة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ

حُكمهُ أزليّ، وقضاؤه نافذٌ، وإرادتهُ لا تتخلّف باستحقاقِ العاصينَ جهنّم

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/402.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/17.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/190 - 191.
(4) طنطاويّ، الوسيط: 7/295.

جَهَنَّمَ﴾[1]، وأضافَها إلى لفظِ الرّبوبيّة دون لفظ الألوهيّة في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾؛ الّذي يدلُّ على الملك والتَّربية والرِّعاية والعناية والعطاء، وأنّه المستحِقُّ للعبادة، لمناسبتِه للسّياق، إذ سياقُ الآياتِ في الاختلافِ في تقريرِ ربوبيّة الله وحده بلا شريك، والخضوع له دون منازع، فقضيّة الألوهيّة لم تكن محلَّ خلاف؛ إنّما الخلافُ في قضيّة الرّبوبيّة الّتي كانت تواجهها الرّسالات، وكذلك الرّسالة الأخيرة.

نكتةُ تكرار لفظ الرُّبوبيَّة مع الإضافة:

من مظاهرِ عنايةِ اللـه بالـنّبـيّ ﷺ تأكيدُ قهرِ أعدائه

كرّر البيانُ القرآنيّ لفظ الرّبوبيّة ﴿رَبُّكَ﴾ ثلاث مرات؛ في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾؛ لكون هذا اللّفظ أنسبَ للسّياق من لفظ الألوهيّة كما سبق، وفي تكريره تأكيدُ ملْكه وتربيته ورعايته وعنايته وعطائه، وأنّه المستحقّ للعبادةِ وحده دون غيره.

وأمّا تَكرارُ إضافته في المرّة الثّالثة إلى ضمير النّبيّ ﷺ في: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾؛ فهو لتأكيدِ عنايةِ الله بالنّبيّ ﷺ وتسليته، والإحسانِ إليه بحمايته من كيدِ الكافرين ومكرِهم، فقد تمّتْ فيهم كلمته، ونفذَ قضاؤُه، وثبتَ حكمُه الّذي أكّده وأقسمَ عليه[2]، والمعنى: وتمّتْ كلمةُ ربّك "المحسن إليك بقهرِ أعدائك الّتي سبقتْ في الأزل، وهي: وعزّتي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾"[3]، وفيه إيماءٌ إلى أنّ سببَ استحقاقِ العاصين أنْ يكونوا ملءَ جهنَّم هو عدمُ إيمانهم بربّك وعبادته، وعدمُ اتّباع نهجك وشريعتك.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/248.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/295.
(3) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/402.

نكتة فَصْلِ قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾:

كَشْفٌ وتقريرٌ لكلمةِ الله الّتي لا تتغيّرُ ولا تتبدّل

فَصَل البيانُ الإلهيّ بين هذه الآية ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ والّتي قبلها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، ولم يأتِ بالعاطف؛ لِما بينَ الجملتيْن من كمالِ الاتّصال؛ أي: الاتّحاد التّامّ في المعنى؛ بسبب كون قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيانًا للجملة قبلها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾، قال ابن عاشور: "وجملة ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ تفسيرٌ للكلمة بمعنى الكلام..، ويجوز أنْ تكون الكلمةُ كلامًا خاطبَ به الملائكةَ قبل خلقِ النّاس؛ فيكون ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ تفسيرًا لـ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾"[1]؛ أيْ: تنزّل قولُه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ منزلةَ عطفِ البيانِ من متبوعه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾؛ لإفادةِ الإيضاح، ومقتضى التّبيين أنَّ جملة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ فيها نوعُ خفاءٍ، والمقامُ يقتضي إزالة هذا الخفاء وكشف كلمة اللّه الّتي تمّت، ولو أتى بالواو لم يُعطِ هذا المعنى؛ لِما في الواو العاطفة من إيهام التّغايرِ المُؤذِنِ بعدم كشفِ المعنى، والإعراضِ عن تقريره.

معنى اللّام في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

قَسَمُ العظيم ﷻ قسَمٌ جليلٌ لا خُلْفَ فيه

اللّامُ في قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لامٌ واقعةٌ في جوابِ قَسَمٍ مُقدَّر تفيدُ التّوكيد؛ توكيد ملءِ اللّه لجهنّم من عُصاةِ الإنس والجنّ، وخاصّةً الّذين يؤذون رسولَ اللّه ﷺ، وفي هذا تهديدٌ لكفّار قريش في زمن الرّسالة، ولكلِّ عاصٍ من الإنس والجنّ، وتسليةٌ لرسول اللّه ﷺ، وتثبيتٌ لقلبه، إذْ إنّ القَسَمَ من أهمّ أبوابِ التّوكيد، وأوسعِ درجاته.

فائدة توالي المؤكّدات في قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

في قضاءِ اللهِ المؤكَّدِ المحقّقِ النّافذِ تهديدٌ للكافرين وتسليةٌ لقلبه ﷺ

اشتملت لفظة ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ على عدّة مؤكّدات، إذ فيها قَسَمٌ مطْويٌّ دلَّت عليه اللّام في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾؛ فهي لامُ القَسَم، والتّقدير: واللّه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.

لأملأنَّ، ونون التّوكيد الثّقيلة الملازمة للقَسَم، فهي أيضًا دالّةٌ على تأكيدِ وعيده[1]، إذ إنّها بمنزلةِ القَسَم، وبمنزلةِ تكرار الفعل، وهي تُفيد كذلك مع التّوكيدِ الشّمولَ والعمومَ عندما يكونُ الكلامُ لغير الواحد؛ أيْ: لأملأنّ جهنّم من عصاةِ الجِنَّة والنّاس كلّهم، وإضافةُ الفعل إلى ذاته الشّريفة بصيغة العَظَمَة هو ممّا يُلحَق بالمؤكّدات المعنويّة.

وفي توالي هذه المؤكّدات في كلمةٍ واحدة تأكيدٌ وتحقيقٌ لوعيده بإدخال عصاة الجِنَّة والإنس جهنّم؛ وغرضُ هذا التّأكيد هو تهديدهم، وحملهم على المسارعة إلى التّوبة، وتسليةٌ لقلبِ النّبيّ ﷺ، وتثبيتٌ له على الحقّ في ظلّ ما يواجه من شدائد، إذ بهذه المؤكّدات يزولُ أيّ شكّ عند المخاطَب في ملء اللّه النّارَ من هؤلاء المجرمين.

نكتة اختيار الامتلاء في: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

كثرةُ الدّاخلين في نارِ جهنّم حتّى تمتلئ تهديدٌ وتخويفٌ

اختارَ البيانُ الإلهيّ مفردة الامتلاء دون غيرها مثل (لأُدخلنّ)؛ للدّلالة على كثرةِ مَن يختار الباطلَ من العصاة والكافرين؛ أيْ: كثرةُ الدّاخلين في نارِ جنّهم حتّى تمتلئ، فمادَّة (الامتلاء) تدلُّ على الكثرة، أمّا لفظ (أُدخلنّ) فلا يدلُّ على الكثرة، وبالتّالي لم تعطِ من المعاني ما أعطته لفظة ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾، وفي هذا التّعبير من التّهديدِ والتّخويفِ ما فيه.

فائدةُ التّعبير بالمضارع في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾:

تصويرُ حالِ تتابعِ دخولِ العُصاةِ جهنّم حتّى تمتلئ بهم مشهدٌ يُنفّرُ النّفس

عبّر البيانُ القرآنيّ بصيغة المضارع ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ الّتي تُفيد المستقبل في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ولم يأتِ بصيغة الماضي (مُلئت)؛ لأمورٍ:

الأوّل: لإمكانيّةِ التّوكيد بلام القَسَم الّتي لا تدخلُ على الفعل

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3776.

الماضي، وبنونِ التّوكيد الثّقيلة الّتي لا يُؤكّد بها الفعل الماضي مطلقًا، ولا تدخلُ إلّا على المستقبل[1].

الثّاني: الدّلالةُ على تتابع دخول عصاةِ الجنّ والإنس (النّاس)، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨﴾ [الملك: 8]، وقال سبحانه: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الأعراف: 38]، وقد ورد في الحديث: «لا تَزالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هلْ من مَزِيدٍ»[2].

الثّالث: تصويرُ هذا المشهد العظيم، واستحضارُ صورة امتلاءِ جهنّم - بعصاةِ الجنّ والإنس - الّتي لا يَعلمُ عمقها وسعتها إلّا الله، بما تحمله هذه الكلمة من التّهديدِ والتّخويف، وبما يُؤلمُ النّفس ويُنفّرها من أسبابِ دخول النّار.

معنى ﴿مِنَ﴾ في ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾:

تحتمل ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وجهيْن:

العُصاةُ من جنسِ الجِنَّة والنّاسِ هم حصَبُ جهنّم

الأوّل: تبعيضيّة؛ أيْ: لأملأنّ جهنّم من كِلا الفريقيْن[3]، لا لشمولِ جميعِ أفرادهما، والمقصودُ بالبعض عصاةُ الجِنَّةِ والنّاس[4].

الثّاني: "لبيانِ الجنسِ؛ أيْ: من جنسِ الجِنَّةِ وجنسِ النّاس"[5]؛ أيْ: المقصود بيانُ جنسِ الدّاخلين في النّار أنّهم من جنسِ الجنّ والإنس.

دلالة (أل) في قوله: ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾:

العذابُ مخصوصٌ بهم والوعيدُ ليس إلّا لهم

(أل) التّعريف في قوله تعالى: ﴿ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ تحتمل وجهيْن:

(1) ابن الأثير، البديع في العربيّة: 1/659.
(2) صحيح البخاريّ، كتاب: التّوحيد، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: 56] الحديث رقم: (7449)، ومسلم، صحيح مسلم، الحديث رقم: (2846).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/248.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/115.

الأوّل: عهديّةٌ، والمُراد من الجِنَّةِ والنّاسِ عصاتهما، والقرينةُ على ذلك "عقليّة لِما عُلم من الشّرعِ أنّ العذابَ مخصوصٌ بهم، وأنّ الوعيدَ ليس إلّا لهم، ولا حاجةَ إلى تقدير مضاف (عُصاة) كما قيل، والتّأكيد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ حينئذٍ ظاهرٌ"[1]، وفي معنى ذلك ما قيل من أنّ المُراد بالجِنّة والنّاس: أتباع إبليس؛ لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾، فاللّازمُ دخولُ جميع تابعيه في جهنّم، والقرآنُ يُفسّر بعضُه بعضًا[2].

الثّاني: جنسيّةٌ، تُفيدُ عمومَ الأصنافِ بأنَّ ملءَ جهنّم من الصّنْفيْن لا من أحدهما فقط، وهذا ما أفاده التّأكيد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾؛ أيْ: تأكيدٌ لشمولِ تثنية كِلا النّوعيْن لا لشمول جميع الأفراد، وبذلك اندفعَ ما أُورِدَ على ظاهرها من اقتضائه دخول جميع الفريقيْن جهنّم، فبُطلانه معلومٌ بالضّرورة؛ لأنّ المُراد تعميم الأصناف، وذلك لا يقتضي دخول جميع الأفراد، كما إذا قلتَ: ملأتُ الجرابَ من جميع أصناف الطّعام، فإنّه لا يقتضي ذلك إلّا أنْ يكون فيه شيءٌ من كلّ صنفٍ من الأصناف، لا أنْ يكون فيه جميعُ أفراد الطّعام[3]، ولأنّ عمومَ الأفراد يُنافي معنى التّبعيض الّذي أفادته ﴿مِنَ﴾[4].

نكتة تقديم الجِنّة على النّاس في الآية:

قدّم البيانُ الإلهيّ ذِكْرَ الجنّ على الإنس، لأمور:

الأوّل: لكون الجنّ أسبقَ خَلْقًا[5].

الثّاني: مراعاةً للسّياق؛ فإنّ الحديثَ عن ملءِ الله لجهنّم،

من عدله سبحانه أنْ يُقدِّمَ لجهنمَ الأكثرَ والأسبقَ غوايةً ومَن هو سببٌ في دخولها

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/141.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/358.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/143.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/191.
(5) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/403.

والجنُّ أكثرُ عددًا من الإنسِ، وأسبقُ غِوايةً منهم؛ بل إنّهم "أصلٌ في الشّرّ"[1]، وهم سببُ غوايةِ الإنسان.

الثّالث: مناسبةً لحالِ الجاهليّةِ من تعظيمهم الجنّ، واستعاذتهم بهم، وعبادتهم؛ فناسبَ البدء بعقابهم توبيخًا لعابديهم[2].

الرّابع: لكونِ تقديم الجنّ على الإنس هي عادة القرآن؛ حيثُ قُدّمت الجنُّ على الإنس في كلّ القرآن باستثناء كلٍّ من سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112]، إذ قدَّم الإنسَ على الجنّ في هذه الآية؛ لأنَّ الآيةَ تُشير إلى أعداء الأنبياء، ومن المعروف أنَّ شياطينَ الإنسِ أكثرُ تعرُّضًا للأنبياء من شياطين الجنّ، وفي تتبُّع قصص الأنبياء وما حدث لهم من إيذاءٍ من أقوامهم شاهدٌ على ذلك، ولذا كان من المناسب تقديمُ الإنس على الجنِّ، وسورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88]؛ لأنّ الحديث فيها عن إعجاز القرآن البلاغيّ؛ فالإنسُ أفصحُ.

فائدةُ التّوكيد بـ ﴿أَجْمَعِينَ﴾:

أكّدَ البيانُ القرآنيّ ما أخبر به اللّه سبحانه من أنّه يملأ نارَه من عصاةِ وكفّارِ الجِنّة والنّاس بذِكْر المؤكِّد المعنويّ ﴿أَجْمَعِينَ﴾؛ لأمرَيْن:

الأوّل: المبالغةُ في تأكيدِ تمام كلمةِ اللّه، وامتناعِها عن قبولِ التّغييرِ والتّبديل.

الثّاني: المبالغةُ في تحقيقِ العموم والشّمول في ملءِ جهنّم بعُصاةِ الجِنّة والنّاس أجْمَعِينَ من دون استثناء، إذ ربما يَظنُّ ظانٌّ أنّه من

العصاة كلُّهم من الجنِّ والإنسِ سيدخلون جهنّمَ وتمتلئُ بهم، لا يفرُّ منها أحدٌ

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 9/403.
(2) البقاعيّ، نَظْم الدُّرر: 8/173.

أحدهما، فأتى لفظ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ ليؤكّد أنّه منهما أجْمَعِينَ لا من أحَدِهما فقط[1]، فالعصاةُ كلّهم من الجنّ والإنس سيدخلون جهنّم، وتمتلئُ بهم لا يفرُّ منها جبّارٌ، ولا نافخُ نار[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الأُمّة والجَماعَة والطّائِفَة والفِرْقَة والحِزْب والفَوْج والفِئَة والزُّمْرَة:

(الأُمّــةُ) أوسـعُ الألـفـاظِ دلالـةً فهي كلُّ جماعةٍ يجمعهم أمرٌ ما

تتقاربُ هذه الألفاظ في دلالاتها، فجميعها تشتركُ في معناها العام، وهو أنّها تعني جماعةً من النّاسِ كثيرةً أو قليلةً، ولا تدلُّ على عددٍ معيّن، ونجد ذلك التّقارب في المعاجم اللُّغويّة، إلّا أنّنا إذا أمعنّا النّظر في معانيها، وفي الاستعمال القرآنيِّ لها نجد أنّها تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصّة، وذلك على النّحو الآتي:

الأُمَّةُ: تدلُّ على: الأصل، والمرجع، والجماعة، والدِّين، وهذه الأربعة متقاربة[3]، والأمّة: الصّنف من النّاس والجماعة[4]، وهي كلّ جماعة يجمعهم أمرٌ ما؛ إمّا دينٌ واحدٌ، أو زمانٌ واحدٌ، أو مكانٌ واحدٌ؛ سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرًا، أو اختيارًا، وجمعها: أُمَم[5].

والجَماعَة: (جمع): يَدُلُّ عَلَى تَضامٍّ الشَّيْءِ[6]، والجمعُ: ضمُّ الشّيء بتقريبِ بعضه من بعض، والجَماعَةُ: عَدَدُ كُلِّ شيءٍ وكثرتُه[7]، والجماعةُ من كلّ شيءٍ يُطلَق على القليل والكثير[8]، والجماعةُ من النّاس: طائفةٌ من النّاس يجمعها غرضٌ واحد[9].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/115.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3776.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (أمّ).
(4) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 143.
(5) الرّاغب، المفردات: (أمم).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جمع).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (جمع).
(8) الفيوميّ، المصباح المنير: (جمع).
(9) مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط: (جمع).

والطّائِفَة: (طوف): يدلُّ على دورانِ الشّيءِ على الشّيء، وأنْ يحُفّ به، والطّائفةُ من النّاس كالفرقة والقطعة منهم، وطائفة: جماعةٌ تُطيفُ بالواحد أو بالشّيء، ولا تكادُ العرب تحدّها بعددٍ معلوم، قيل: إنّ الواحد طائفة، وقيل: أربعةٌ فما فوقها، وقيل: هي الثّلاثة، وقيل غير ذلك[1].

والفِرْقَة: أصل (فرق) يدلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئَيْن[2]، والفريق: الجماعةُ المنفردة عن آخرين، وهي بمعنى جزء أو طائفة[3]، والفِرقة: الطّائِفَة من الشَّيْء المتفرّق[4]، والفِرْقة من النّاس: الطّائِفة من النّاس المنفصلة عن غيرها[5].

والحِزْبُ: أصل (حزب) يدلُّ على تجمّع الشّيء، ومنه الحِزْبُ: الجماعة من النّاس[6]، وكلُّ طائفةٍ تكون أهواؤهم واحدةً فهم حزبٌ[7]، وحِزْبُ الرّجل: أصحابهُ وجُنْدُه الّذين على رأيه[8]، والحِزْبُ: جماعةٌ فيها غِلَظ[9]، والحِزْبُ: الجَماعَة المنفردون برأيهم عَن غَيرهم[10].

والفَوْج: أصل (فوج) يدلُّ على تجمّع، ومن ذلك الفَوْجُ: الجماعة من النّاس، وأفاجَ الرّجل: إذا أسرع، وأفواجًا: جماعات كثيرة[11]، والفَوْجُ: الجماعة المارّة المسرعة[12].

والفِئَة: أصلُ (فأو) يدلُّ على انفراجٍ في شيء[13]، والفَأْوُ: الشَّق، والصّدع في الجبل[14]، ومنه اشتقاقُ الفِئة، وهي: طائفةٌ من النّاس، والجمعُ: فئات وفِئونَ[15]، والفئة: الفرقةُ والجماعةُ من ناسٍ، أو من جيشٍ[16].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (طوف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فرق).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).
(4) ابن سِيده، المحكم والمحيط الأعظم: (فرق).
(5) السّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (فرق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حزب).
(7) الخليل، العين: (حزب).
(8) ابن منظور، لسان العرب: (حزب).
(9) الرّاغب، المفردات: (حزب).
(10) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 116.
(11) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (فوج).
(12) الرّاغب، المفردات: (فوج).
(13) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فأو).
(14) ابن منظور، لسان العرب: (فأي).
(15) الخليل، العين: (فأو).
(16) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فأو).

والزُّمَرَة: الزاي والميم والراء أصلان: أحدهما يدلُّ على قلّة الشّيء، والآخر جنسٌ من الأصوات، والزُّمَرَة: الجماعة، وهي مشتقّة من هذا؛ لأنّها إذا اجتمعت كانت لها جَلَبَةٌ وزِمار[1]، فـ(الزُّمَرَة) مَأْخُوذ من (الزَّمْر) الّذي هُو الصَّوْت، إذ الجَماعَة لا تَخْلُو عَنهُ، وهِيَ الجَماعَةُ القَلِيلَةُ[2]، والزُّمَرَة: الفوج من النّاس، والجماعة من النّاس[3].

ونخلُص ممّا سبق إلى أنّ أعمّ هذه الألفاظ وأوسعها دلالةً هي الأُمَّةُ، إذ تُطلق على كلّ جماعةٍ يجمعهم أمرٌ ما مشتركٌ بينهم.

وتأتي بعدها الجَماعَةُ فهي تدلُّ على اجتماع عددٍ من النّاس على غرضٍ واحدٍ، سواء أكان عددهم قليلًا أم كثيرًا.

بينما تتميّز الطّائِفَة بأنّها: الجماعةُ الّتي من شأنها الطّواف في البلاد للسّفر، أو الّتي تطوف حول مذهبٍ عامٍّ، وقد تكون قليلة[4].

وتتميّز الفِرْقَةُ بأنّها: الجماعة الكثيرة المنفردة عن آخرين، والطّائفة المنفصلة عن غيرها.

ويتميّز الحِزْبُ بأنّه: جماعةٌ تتحزّب على الأمر؛ أيْ: تتعاون[5]، وتكون أهواؤهم واحدة.

ويتميّز الفَوْجُ بأنّه: الجماعة الكثيرة[6] المارّة المسرعة.

وتتميّز الفِئَة بأنّها: الجماعة المتفرّقة من غيرها[7].

وتتميّز الزُّمَرَة بأنّها: الجماعة القليلة الّتي لها جَلَبَة وصوت لا يُفهم[8].

الاختلاف وما يقاربه في الدلالة:

هناك بعض التّقارب بين هذه الألفاظ (الاختلاف والتَّفاوت والتَّنازع والتَّجاذب والتَّفرُّق والفشل) في دلالاتها، كما أنّها تفترقُ عن بعضها في معانيها الخاصّة، وبيانُ ذلك:

الاختلاف: عدمُ الاجتماع على رأيٍ أو موقفٍ أو حكمٍ إلخ، كأنَّ كلًّا يذهب إلى

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (زمر).
(2) الزّبيديّ، تاج العروس: (زمر).
(3) مَجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زمر).
(4) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 278.
(5) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 277.
(6) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 279.
(7) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 279.
(8) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 279.

ما جعله الآخر خَلْفه[1]، وكأنَّ كلّ واحدٍ يأخذ طريقًا غيرَ طريق الآخر في حاله أو قوله، والخِلاف أعمّ من الضّدّ، فكلّ ضدّيْن مختلفان، وليس كلّ مختلفيْن ضدّيْن كما أنَّ الاختلاف يُستعار للمنازعة والمجادلة[2].

الاختـــلافُ المـــذمـــومُ هو الّـذي يـؤدّي إلى التّنازعِ والتّفرّقِ والفشلِ

والتّفاوت: أصل (فوت) يدلُّ على ضدّ إدراك الشّيء، والوصول إليه، وتَفاوتَ الشّيئان: تباعد ما بينهما؛ أيْ: لم يُدرك هذا ذاك[3]، وفاته الأمرُ فوتًا: ذهبَ عنه، ويُفسّر التّفاوت أيضًا بـ الاختلاف[4].

والتَّنازُعُ: من النّزع، وهو يدلُّ على قلع شيء[5]، والتّنازع: التّناول والتّعاطي، والأصل فيه التّجاذب كالمنازعة، ويُعبّر بهما عن التّخاصم والمجادلة[6]، فالتّنازع: التّداول والجذب عمومًا[7].

والتَّجاذُبُ: أصلُ (جذب) يدلُّ على بَتْرِ الشّيء[8]، وجاذَبْتُه الشّيءَ: نازَعْتُهُ إيّاهُ، والتَّجاذُبُ: التَّنازُعُ، واجْتَذَبَه: سَلَبَه[9]، وجاذَبْتُه فَجَذبْتُه؛ أي: غَلَبْتُه، والانْجِذابُ: سُرْعةُ السَّيْرِ[10].

والتّفرّق: أصلُ (فرق) يدلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئَيْن، والتّفرّق: انفصال الشّيء عن الشّيء وتميّزه منه، والتّفريق ضدُّ التّجمّع[11]، والفريق: الجماعة المنفردة عن آخرين؛ وسائرُ ما في القرآن من التّركيب هو بمعنى التّفرّق والاختلاف والتّغاير[12].

(1) مجمع اللُّغة العربيّة، المعجم الوسيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خلف).
(2) الرّاغب، المفردات: (خلف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فوت).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فوت).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نزع).
(6) الزّبيديّ، تاج العروس: (نزع).
(7) الفراهيّ، مفردات القرآن، ص: 160.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جذب).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (جذب).
(10) ابن منظور، لسان العرب: (جذب).
(11) الزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).
(12) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرق).

والفَشَل: فَشِلَ الرّجلُ فَشَلًا: كَسِلَ وضعُف وتراخَى وجَبُن، والفَشَل: الفزعُ والجُبْن والضَّعْف[1]، فالفَشَلُ: ضعفٌ مع جُبن[2].

تبيّن من خلالِ الرجوعِ إلى معاني هذه الألفاظ أنّ لكلٍّ منها ما يُميّزه عن غيره:

وقد فرّق العسكريّ بين الاختلافِ والتّفاوتِ، فقال: "التّفاوتُ كلّه مذمومٌ، ولهذا نفاه اللّه تعالى عن فعله، فقال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ [الملك: 3]، ومن الاختلافِ ما ليس بمذموم، ألا ترى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [المؤمنون: 80]، فهذا الضّربُ من الاختلافِ يكونُ على سَنَنٍ واحد، وهو دالٌّ على علم فاعله، والتّفاوتُ هو الاختلافُ الواقعُ على غيرِ سَنَن، وهو دالٌّ على جهلِ فاعله"[3].

والفرق بين التّنازع والتّجاذب: التّنازع كالتّجاذب، إلّا أنَّ التّنازعَ فيه معنى التّخاصم والمجادلة والاختلافِ بين متخاصمَيْن، وهذا مذمومٌ أيضًا، بينما التّجاذب: يتميّز بأنّه تنازعٌ مع سرعة سلبِ الشّيء وكأنّه البتّر.

ويتميّز التّفرّق: بالانفصال والتّباعد، وزوال الاجتماعِ والأُلفة، وهو مذمومٌ، إذ يؤدّي إلى التّمزّق والعداوة.

ويتميّز الفشل: بأنّه ضعفٌ مع جُبنٍ، ويمكن أنْ يكونَ نتيجةَ الاختلافِ والتّنازعِ والتّفرّق، وهذا مذمومٌ أيضًا.

إذن: الاختلافُ المذموم يكون سببًا للتّنازعِ والتّفرّقِ والفشلِ.

(1) ابن منظور، لسان العرب، الزّبيديّ، تاج العروس: (فشل).
(2) الرّاغب، المفردات: (فشل).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 156.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»